إنَّ علاقة الإيقاع بالشعر علاقة تماهٍ لا يمكن فصلها بأي حالٍ من الأحوال، وقد سلطت الدراسات العربية الضوء على الأوزان والقوافي والبحث في طبيعتها والكشف عن عيوبها من خلال دراسة موسيقى القصيدة العربية القديمة في ظلِّ علاقتها بالمفهوم الخليلي ، وبعد ظهور القصيدة العربية الحديثة أنتقل مفهوم الموسيقى إلى مفهوم أكثر إتساعاً و تأثيراً وهو الإيقاع ، كما تطور هذا المفهوم في ظل المناهج النقدية الحديثة إلى مفهوم البنية الإيقاعية، ليكون بذلك المصطلح الأشمل والأوسع لدراسة إيقاع النص الشعري .

ويُعد الإيقاع من أبرز وأهم العناصر التي ترتكز عليها القصيدة العربية الحديثة؛ لأنه يخضع خضوعاً مباشراً لحالة الشاعر النفسية التي تصدر عنها، كما إنه من أهم الجوانب التي تسهم في إنتاج دلالة النص الشعري، لذا فالإيقاع يُمثل بالدرجــة

الأولى الإستثمار الحقيقي لكل العناصر والعلاقات التي تكوّن النص الشعري، وكلما كان هذا الإستثمار للطاقات والإمكانات على درجة عالية من الوعي، كان للإيقاع قدرة أكبر على التعبير والتصوير والتأثير ممّا يولد الدلالة عبر عملية التلقي.

وتأتي أهمية هذه الدراسة ((البنية الإيقاعية ودلالاتها في شعر كاظم الحجاج)) مـن توافرها على بنية إيقاعية ناجمة عن التجربة الشعورية، وإرتباطها بالحالة الإنفعالية للمبدع، وممّا لاشك فيه إنَّ كاظم الحجاج، شاعرٌ مبدعٌ، وأديبٌ ملهمٌ، قد أثرى بمنجزه الشعري الساحة العراقية وهو أحد الدعامات الأساسية في أدب العراق ككل، حيث حملت قصائده الشعرية بين أحشائها موروثاً من السخرية والمفارقة والألم، كما أنّها تحاكي أزمان بصورها ومآسيها على بلدٍ قصدت الأقدارُ أن يكون محطةٍ للوجع والشكوى .

وكان وراء اختياري موضوع الرسالة هو شغف يرافقني منذ مرحلة الدراسة الأولى لتحدي الصعوبة التي تكمن في هذا الاختصاص أولاً، و لتجنب أغلب الباحثين طرق هذه الموضوعات بالتعويل على المفهوم الخليلي ثانياً ، إلا أنّ النصوص الشعرية الحديثة نهلت من الفنون

المجاورة، كالسرد والدراما وغير ذلك، لما للبنية الإيقاعية من شمولية وإتساع يتغلغل في كل مكونات النص الشعري.

وقد لاقيت ترحيباً وتشجيعاً من قبل أساتذتي الأفاضل لهذا الموضوع ، وقد طرح عليَّ أستاذي المشرف الدكتور ناجي عباس مطر بعض التجارب الشعرية فوقع أختيارنا على تجربة الشاعر كاظم الحجاج الشعرية للأسباب التي ذكرت .

ولابد من الإشارة إلى الدراسات التي تناولت تجربة الشاعر كاظم الحجاج الشعرية، حيث سبقت هذه الدراسة، ثلاث دراسات على مستوى رسائل ماجستير من الجامعات العراقية، تناولت الدراسة الأولى (البنية السردية في أدب كاظم الحجاج) في كلية التربية، جامعة البصرة، وتناولت الدراسة الثانية (شعر كاظم الحجاج دراسة فنية) في كلية التربية، الجامعة المستنصرية، وتناولت الدراسة الثالثة (جماليات النص في شعر كاظم الحجاج) في كلية اللغات، جامعة صلاح الدين/ أربيل .

وقد استدعت الضرورة المنهجية أن ترد هذه الدراسة المتواضعة في تمهيد وثلاثةِ فصول وخاتمة، في القسم الأول من التمهيد تناول الباحث مفهوم البنية الإيقاعية، وفي القسم الثاني تناول مفهوم الإيقاع، وفي القسم الثالث تناول إضاءة في حياة الشاعر.

وقد أختص الفصل الأول بدراسة (بنية الإيقاع الخارجي) بوصفه المظهر الأساس والعام للنص الشعري، ويمثل المرتكز الإيقاعي للبناء العروضي، لما له من دور فاعل في إنتاج الدلالة ، وقد جرى تقسيمه إلى ثلاثة مباحث رئيسية، تناولت في المبحث الأول : إيقاع التفاعيل، وفي المبحث الثاني: إيقاع التنقل والتنوع، وفي المبحث الثالث :إيقاع القافية .

ودرست في الفصل الثاني (بنية الإيقاع الداخلي)؛ لكونه المظهر الإيقاعي المتميز للحروف والألفاظ والجمل التي تأتي نتيجة أحساسات المبدع أثناء توليده للنص، وما يضفيه من جماليات اللغة وإنتاج الدلالة، وقد جرى تقسيمه إلى ثلاثة مباحث أيضاً، تناولت في المبحث

الأول : الإيقاع الصوتي ، وفي المبحث الثاني: إيقاع التوازي، وفي المبحث الثالث:إيقاع التكرار.

أما الفصل الأخير، فقد وسمناه بـ(الإيقاع التشكيلي)، وقد أختص بدراسة مجموعة من الإيقاعات التي تسهم إسهاماً فاعلاً في تشكيل البنية الإيقاعية وتوليد الدلالة، وقد جرى تقسيمه إلى ثلاثة مباحث رئيسة، تناولت في المبحث الأول: إيقاع المفارقة ، حيث غلبت على نصوص الشاعر ممّا أسهمت في إثراء الإيقاع، لما لها من إرتباط وثيق بالإيقاع النفسي للمبدع والمتلقي، وفي المبحث الثاني تناولت: الإيقاع العلائقي ، الذي ينشأ عبر مجموعة من المظاهر اللغوية في النصوص الشعرية ، وتناولت في المبحث الثالث: الإيقاع البصري، وذلك لما يحققه من أثر إيقاعي وجمالي، إذ إن القصيدة الحديثة أخذت تلفت الإنتباه بتشكيلاتها المكانية بوصفها مكوناً أساسياً وجوهرياً يضفي أبعاداً دلالية وجمالية في آنٍ واحد .

وقد خُتمت الرسالة بخاتمة عرضتُ فيها أبرز القضايا التي استطعت الوصول إليها من خلال البحث.

ومن الجدير بالإشارة أن هذه الدراسة تدخل في باب:المنهج الوصفي التحليلي، كما استعنت بالمنهج الإنطباعي التأثري في النقد الأدبي، كما وقد أفادت هذه الدراسة من دراسات عديدة، أهمها، دراسة الدكتور: محمد النويهي (الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه)، ودراسة الدكتور: محمد صابر عبيد (القصيدة العربية الحديثة، بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية)، ودراسة الدكتور: خليل شكري هيّاس (ينابيع النص وجماليات التشكيل)، ودراسة الدكتور: حميد يعكوب نعيمة (قصيدة الشعر العراقية، دراسة في جماليات التشكيل الإيقاعي) .

ولم تخلُ رحلة البحث من الصعوبات التي تواجه الباحث ، فكان من أبرزها صعوبة الحصول على المصادر والمراجع لعدم توفرها في المكتبات، وذلك يتطلب المزيد من الجهد والمشقة والوقت للعثور عليها، كما أن مسار البحث يستدعي وقفات وتأملات فضلاً عن الصعوبات المتمثلة بالميدان التطبيقي ، وصعوبة الحصول على الأعمال الشعرية للشاعر لأنها

كانت قيد الطباعة في حينها، إلا أن ما ذللّ هذه الصعوبات والمعوقات، هو ما تفضل به أستاذي الدكتور حميد يعكوب الصافي من إبداء الملاحظات والتوجيهات التي أستمرت منذُ إنطلاق شرارة البحث إلى الصورة النهائية التي أكتمل بها، عبر اللقاءات المتكررة والجلسات الحوارية التي أضاءت مسار البحث، كما له الفضل الأكبر في تزويدي بالمصادر المهمة التي أفادت البحث، وأرى مهما بلغت في الدعاء له والوفاء له لا أوفيه شيئاً من حقه عليَّ.

ومن هنا أجد من الواجب عليَّ أن أقدم خالص شكري وتقديري إلى أستاذي الدكتور ناجي عباس مطر، لتفضلهِ بالإشراف على رسالتي، ولسعة صدره على تحمل أخطائي وآرائي ، وأشهد أني لمستُ فيه الأستاذ والمعلم الناصح والأخ الواعظ.

وكذلك أشكر أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم تقويم رسالتي، وأسال الله أن ينفعني بعلمهم ، وينور لي طريق البحث بملاحظاتهم وإستدراكاتهم القيمة .

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الوافر إلى أستاذي الدكتور كاظم فاخر الخفاجي، لحرصه على دراستي ، ولما أبداه من دعم وتوجيه وإرشاد لي، ولحسن ظنه بي، فكان نعم الأستاذ ونعم المعلم ونعم الأخ .

كما أتقـدم بشكري الخالص وإحترامي إلى أستاذي الدكـتور هادي شـندوخ حميد، رئيس قسم اللغة العربية، لحرصه ومتابعته لنا، والشكر موصـول لجميع أساتذتي الأفاضل في قسم اللغة العربية .